Rimak International Journal of Humanities and Social Sciences
ISSN: 2717- 8293

Research Article May 2022 Volume: 4 Issue: 3

ENALLAGE AND INFLUENCE IN EXPANSION AND HIDDEN – DEEP MEANING EXPLAIN IN SPEECH OF QURAN AT THE JUDGE ABDUL- JABBAR ALMUTAZLY

Layla Abbas KHAMEES[1]

Istanbul / Türkiye
p. 673-685

Received: 19/03/2022
Accepted: 11/04/2022
Published: 01/05/2022

This article has been scanned by **iThenticat** No **plagiarism** detected

Abstract:

Enallage it is a phenomenon of phenomena of Arabic language it is interferer meaning of things in another meaning of thing and the search based on study enallage diction at the Judge Abdul Jabbar Almutazly, especially the similar Quran verses he is connected between enallage and figure of speech and reality he is declared the indication alternate it is occur in vocabulary and the enallage at the Judge Abdul Jabbar al mutazley depend on mental proof and the enallage

Enallage is directing verses of Quran and for this a big influence in declare and wiped off and deep mental expansion in speech of language.

Keywords: The Enalage, Expansion, Deep and Hidden Meaning.

http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.17.39

[1] Dr. ; University of Baghdad, Iraq, Laylaak2020@gmail.com; https://orcid.org/0000-0003-3999-8157

Copyright © Published by Rimak Journal, www.rimakjournal.com
Rimar Academy, Fatih, Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

Volume: 4 Issue: 3

أثر التضمين في توسيع المعنى الخفي والعميق في تفسير الخطاب القرآني عند القاضي عبد الجبار المعتزلي

ليلى عباس خميس [2]

الملخص:

يعد التضمين ظاهرة من ظواهر اللغة العربية، يتداخل فيها معنى بمعنى آخر، ويقوم البحث على دراسة أسلوب التضمين عند القاضي عبد الجبار المعتزلي الذي يعالج بصورة عقلية إثبات المعتقدات الأصولية عند المعتزلة، ولاسيما في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم، إذ ربط ما بين التضمين والحقيقة والمجاز في بيان وضوح التحول الدلالي الذي يحدث في الألفاظ، ويقوم أكثر التضمين عند القاضي يقوم على الدليل العقلي في توجيه الآيات القرآنية، ولهذا أثر كبير في بيان المعنى الموسع العميق والمحذوف في الخطاب اللغوي.

الكلمات المفتاحية: التضمين، التوسع، المعنى العميق والخفي.

المقدمة:

التضمين أسلوب من أساليب العربية، إذ تخرج الألفاظ فيه إلى معنيين أثر تحول دلالي فيها فتخرج إلى معنى عميق يكمن داخلها، ومن الذين عالجوا أسلوب التضمين بالاهتمام والبحث من خلال آيات القران الكريم القاضي عبد الجبار، فقد أكد فيه الجانب المنطقي، إذ لا يتحقق إلاّ بما يتضمنه المعنى الكامن في الألفاظ، وكان الهدف منه دعم المعتقدات الأصولية للمعتزلة في إثبات صحة الأصول الخمسة .وسنحاول في هذا البحث التعرف على ما يأتي:

1-التضمين والعلاقة ما بين الحقيقة والمجاز.

2-التضمين والتوسع في المعنى في الخطاب القرآني، و معرفة قصد المتكلم القائم على الدليل المنطقي.

3-التضمين والمعنى العميق والمنطقي عن طريق معرفة المحكم والمتشابه.

4-التضمين وعلاقته بالكلام المحذوف، وما يتضمنه من معنى عميق لا يدرك إلاّ عن طريق الدليل المنطقي.

التضمين والحقيقة والمجاز :يتطرق القاضي(ت415هـ) إلى التضمين من خلال حديثه عن التحول الدلالي الذي يحدث في الألفاظ حين تخرج إلى معنى آخر، لأنه جاز في اللفظ الموضوع للدلالة على شيء ما إن يراد غيره من الألفاظ أنْ يدل على غيره من جهة المجاز (ينظر: عبد الجبار، 2012، ج 17، ص 42)، ويؤكد القاضي يؤكد على أنَ التضمين في اللغة يقوم على إخراج اللفظ وصرفه إلى غيره، وهذا ما نجده عنده حينما يقسم التضمين في اللغة على قسمين :-

1-التضمين المقصود للاحتمال له، ويحصل هذا في التحول الدلالي الذي يخرج من الحقيقة إلى المجاز.

2- يصرف التضمين إلى غيره من المعاني المدعومة بالدليل، إذ فيها "ما يبنى للاحتمال ووضع له، وفيها ما ظاهره يدل على أمر واحد، وأنْ جاز صرفه إلى غيره بالدليل " (عبد الجبار، 2009، ج1، ص29)، وهذا لا يتحقق إلاّ بالمعنى، إذ لا تكمن أهميته بصفاته وألفاظه إنَما يكمن في معناه المتضمن معنى كامن لا يبينه اللفظ الظاهر، فالقاضي يمجد المعاني ويجعلها فوق

[3] د.، جامعة بغداد، العراق، Laylaak2020@gmail.com

الألفاظ، وعلى الرغم من اهتمامه بالألفاظ كانت المعاني عنده أقوى وارفع من الألفاظ وما وجدت الألفاظ إلّا لخدمة هذه المعاني، وهذا ما سبقه إليه ابن جني، فيقول: "فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها ....فلا ترين إنَ العناية إذ ذاك إنَما هي بالألفاظ، بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني "(ابن جني، 1952، ج1، ص217)، ولا يقع الخطاب اللغوي بذاته وجنسه إنَما يقع بمعناه الكامن العميق المتضمن الدليل العقلي (ينظر: عبد الجبار، 2009، ج1، ص32)، وهذا نجده عند سائر المعتزلة ولكون التضمين مجاز ارتبط بالحقيقة، إذ استعمل في غير معناه لوجود علاقة وقرينة ارتبط بها، ولكون الكلام يحتاج إلى قرينة ضمنية تعتمد على طبيعة المتلقي وثقافته في إخراج الخطاب إلى معنى ثان يعزز المعنى الأصلي، إذ يخرج إلى معنى ثان "فيه ما يستقل بنفسه ويمكن معرفة المراد بظاهره، وفيه ما يحتاج إلى قرينة على الجملة، وفيه ما يحتاج إلى قرينة مفصلة"(عبد الجبار، 2009، ج1، ص34)، ويُعرف التضمين وتبرز أهميته بإضافته إلى غيره، إيَ إنَنا ندرك التضمين من خلال توجيه الألفاظ إلى المراد منها إذا غمضت عن المعنى المدرك، وأنه "يعرف المراد به وبغيره معاً فقد اختص وجه في الحكمة، لأنه لا يمتنع أن يكون الصلاح في بعض الأدلة إن يستقل بنفسه، فيعرف المراد به بانفراده، وفي بعضها إن لا يعرف المراد بها لا مع غيره إلا ترى إن العادة قد جرت إنَا نعلم المدركات الواضحة بالإدراك " (عبد الجبار، 2009، ج1، ص36).إنَ اللفظ إذا كان مستعملاً في معناه الحقيقي فلا دلالة على الفعل الآخر، وإنْ كان فيهم جميعاً يجب لزوم الجمع بين الحقيقة والمجاز، ومعناه الحقيقي مأخوذ من الفعل المقابل الذي يخرج إلى الفعل الآخر كونه قرين لفظي له (ينظر: محمد نديم فاضل، 2005، ص90).إن التضمين مجاز مقابل للحقيقة، فالألفاظ تؤخذ من غير معناها للعلاقة والقرينة فيه، والتضمين جمع بين الحقيقة والمجاز للدلالة على معناه الذي ينبثق عن قدرة في الدقة والجمال والبلاغة، فتُكون اللفظ من الاستعمال الكامل للمعنى الأصلي، فتكون النتيجة معنى جديداً يمتاز ببلاغة وإيجاز وخروج عن المعنى الأصلي بصورة مقصودة لأن اللفظ "قد ضمن معنى آخر لم يكن فيه ذلك المعنى من قبل، فيأخذ معنى جديداً مع بقاء المعنى الأصلي للفعل، فهو جمع بين معنيين معنى أصلي ومعنى تضميني "(عمر عبد الفتاح، ب–ت، ص33)، إذ إنَ المعنى وعمقه واتساعه أدى إلى التوسع في الألفاظ، ويعمق القاضي عبد الجبار التضمين عن طريق جعل الحقيقة والمجاز على خط واحد من الأهمية، إذ"يوجب أن لا فرق بين الحقيقة والمجاز "(عبد الجبار، 2012، ج 17، ص34)، ويؤكد هذا المعنى في موضع آخر كون الحقيقة عنده تتضمن مزية يستدل بها من باب الاضطرار لوجود قرينة تظهر المعنى الظاهر إلى معنى خفي (ينظر: عبد الجبار، 2012، ج17، ص34)، فالتضمين مجاز فيقوم بنقل اللفظ إلى درجات تتجاوز الطبيعة الاصطلاحية الخاصة باللفظ إلى معانٍ ذات معنى قريب، ويكون ذات بلاغة وجمال؛ أيَ" إن تقصد بلفظ فعل معناه الحقيقي ويلاحظ معه فعل آخر يناسبه ويدل عليه بذكر شيء من متعلقاته "(فاضل السامرائي، 2003، ج3، ص11)ويعد التضمين مجازاً "لأنه استعمال اللفظ في غير معناه لعلاقة بينهما وقرينة "(عباس حسن، ب–ت، ج2، ص527)، والتضمين من أبرز الفنون البلاغية الذي يخرج اللفظ من معناه المتعارف عليه إلى معنى خرج عن القواعد التقليدية، إذ يكون لألفظ معنى آخرمقصود "ففهم أنه يقصد أن أللفظ استعمل في معنى واحد فقط وقصد به معنى آخر وهو المقدر المحذوف، وهذا يخرج إلى المجاز"(زيد عمر، 2002، ص34)، ويؤكد هذا أن التضمين ما هو إلا جمع ما بين الحقيقة والمجاز، كون اللفظ استعمل في غير معناه لعلاقة وقرينة، إذ إن"أللفظ لم يوضع للحقيقة والمجاز معاً، والجمع بينهما مجاز خاص يسمى التضمين، لأن اللفظ استعمل في غير معناه لعلاقة وقرينة، والمعنى المراد من المعنى المضمن معنى لفظ آخر، هو معنى ذلك أللفظ الآخر، فقد دل عليه عن طريق المجاز"(آسيا غربوج، 2016، ص9)، فعُد الجمع ما بين الحقيقة والمجاز وجه من أوجه التضمين، إذ إن كليهما مقصودان في التضمين"إلا إن القصد إلى أحدهما، وهو المذكور بذكر متعلقه يكون تبعاً للآخر وهو المذكور بلفظ، وهذه التبعية في الإرادة من الكلام، فلا يتنافى كونه مقصوداً في المقام"(عباس حسن، ب–ت، ج2، ص523)، ويؤكد عباس حسن أن التضمين ما هو إلا جمع ما بين الحقيقة والمجاز للوصول للمعنى المحذوف المخفي بالقرينة(ينظر:عباس حسن، ب–ت، ج2، ص536).التضمين حين يجمع ما بين الحقيقة والمجاز يخرج إلى نوع من أنواع التعبير العالي الجودة الذي يدخل إلى اللغة، فيضيف إليها الكثير من الجمال والبلاغة على شرط أن لا يكون هناك اختلال في المعنى،

Volume: 4 Issue: 3

والسياق الأسلوبي.إن المعنى الأصلي والجديد مقصودان في التضمين، إذ"يستعمل اللفظ في معناه الأصلي، وهو المقصود أصالة، لكن قصد تبعية معنى آخر يناسبه من غير أن يستعمل فيه ذلك، أو يقدر له لفظ آخر، فلا يكون التضمين من باب الكناية ولا باب الإضمار؛بل من قبيل الحقيقة"(الأزهري، ب-ت، ج2، ص5)، وهذا يشترط أن يكون للمعنى الحقيقي معنى خفي يخرج إلى معنى آخر يرفع من مستوى وبلاغة الخطاب اللغوي، كون التضمين كلاماً أحتوى"معنى فيه من غير ذكر اسم له باسم، أو صفة هي عبارة عنه"(الرماني، ب-ت، ص94).

التضمين والتوسع في المعنى: التضمين عند القاضي عبد الجبار هو التوسع في اللفظ، إذ يعتمد الأسلوب المنطقي في خروج الكلام والخطاب اللغوي إلى معنى آخر، وليس التضمين عنده زيادة اسم، أو فعل، أو حرف"لأن من يقول بالعموم يجوز ذلك توسعاً، ومن لا يقول بالعموم في بابه، لأنه مشترك محتمل للأمرين "(عبد الجبار، 2012، ج17، ص42-43)، وكل اللغويين والنحويين يؤكدون أن التضمين ما هو إلا توسع في الألفاظ والمعاني، كون"إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذٍ"(الزمخشري، ب-ت، ج2، ص257)، و يعد هذا توسعاً في المعاني، فيتجاوز معنى اللفظ الواحد إلى معنى قريب منه، ويكون ذات جمال وبلاغة، إذ هو "تأدية المعنى الواسع بأقل الألفاظ هو ضرب من ضروب البلاغة"(نقد الدين، 2017، ص37)، ويختص التضمين عن غيره أنه يقوم بنقل اللفظ إلى درجات عدَه، إذ له أهمية كبيرة لدوره الفاعل في توسيع اللغة، فأن"المعنى لا يأتي مصرحاً بذكره، بل مؤولاً عليه لغيره؛أي إن الكلمة معنى كلمتين، وهو من أبواب التوسع في العربية، وهو من أنزه الفصول فيها"(إبراهيم البب، 2017، ص297)، إذ التضمين يوسع المعنى، فاللفظ يكتسب معاني ذات دلالات عميق، وسياقات لغوية جديدة، فالتضمين نافذة من نوافذ اللغة يعمل على توسيع معانيها وبيان جمال وخفايا مكنوناتها، وهذا يدفعنا للقول بأن التضمين يعدَ من فضائل اللغة العربية عند اللغويين والنحويين في بيان وقوة الخطاب اللغوي، فيخرج الخطاب اللغوي فيه إلى التوسع في المعاني مع الإيجاز في الألفاظ، فسواء عُرف وجهه" في التركيب أم خفي، فهو وسيلة لتوليد المعاني الجديدة، وتوسيع الوظائف التي تؤديها الألفاظ، وهو في الغالب يؤول إلى الخفاء ويبقى أثره"(محمود الحسن، 1918، ص70)، والتضمين في الأصل أتساع في الاستعمال لمرونة اللغة العربية، إذ تخرج الألفاظ إلى معانٍ يوجز فيها الكلام ويتسع في المعنى، فنرى المتكلم يبتعد عن التوسع في الألفاظ من أجل المعاني، ويقترب من الإيجاز في الألفاظ والتوسع في المعاني.وللتضمين أثر واضح، وفائدته تكمن في الإيجاز والاختصار، وهذا بدوره ينتج فصاحة وبيان في المعنى.(ينظر:إيناس شعبان، 2010، ص39)، وهذا الاختصار مع التوسع في المعاني من سمات الأسلوب البليغ، ف"للتضمين غرض هو الإيجاز"(محمد الخضر، 1960، ص205)، وعند حديث القاضي عن الخبر يتطرق إلى مسألة خروج اللفظ من معناه الظاهر إلى معنى متضمن ضرباً من ضروب التوسع في إيراد الخبر المقصود، إذ"إن الخبر الذي هو العموم تتضاعف أجزاؤه بحسب ما هو خبر عنه، فلا يكون الخبر عن بعضه خبراً عن سائره، وإن كان لا يتميز"(عبد الجبار، 2012، ج17، ص44)، ويزيد المسألة شرحاً حينما يؤكد أن الفعل له وجهان يكون: أحدهما مقارناً للآخر؛أي إنه متضمن معنى لا يدرك إلا عن طريق استنباط معنى الفعل في العموم، إذ"إن ما به يصير الفعل واقعاً على وجه دون وجه يجب أن يكون مقارناً، أو في حكم المقارن، حتى يختص بذلك الفعل"(عبد الجبار، 2012، ج17، ص44)، وهذا بدوره يعتمد على الدليل العقلي المتضمن دلالة التضمين في الخطاب اللغوي، إذ"إنَا نريد بذلك أن الفعل متقدم للخطاب، لأن الفعل مقارن له في الحقيقة أيضاً"(عبد الجبار، 2012، ج17، ص44)، ونرى القاضي يتطرق إلى الآية الكريمة التي يخرج الخطاب القرآني إلى التوسع في المعنى بما تحتويه من تضمين في قوله تعالى:"إن اللهَ لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسِهم"(الرعد11)، والتضمين بها عقلي فيه توسيع للمعنى الأصلي، إذ تضمنت الآية معنى مقارباً من حيث هو أراد"أنه تعالى لا يغير بالعبد ما أنعم عليه من الصحة والسلامة وسائر النعم، ولا يُنزل به العقوبات إلا بعد ما يغير ما بنفسه من الإيمان إلى الكفر"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص9)، وهنا تضمين على جهة التوسع، إذ تطرق سبحانه وتعالى إلى (سوء)فجعلها بمعنى العقوبة، فيتجاوز إلى معنى مجاور له، وهو انه"تعالى هو الغالب فلا يصح أن يمنع عما يريده من إنزال العقوبات بالعصاة"(عبد الجبار، 2009، ج2،

ص10)، ويؤكد على التضمين المتضمن التوسع في المعاني، لأنه يعدها الأساس في الخطاب اللغوي، وما الألفاظ إلا الوسيلة التي يتم عن طريقها الوصول إلى المعاني عنده، فيتطرق إلى قوله تعالى"إذ يخلقُ من الطينِ كهيئة الطيرِ"

(المائدة11)، إذ يعيب على الذين يوجهون التفسير أن عيسى(ع)هو شريك له سبحانه، إذ أثبت الخطاب الظاهر في الآية الكريمة هذا القول بأنه يخلق كخلقه تعالى وهذا لا يجوز؛لأن الآية تحمل معنى غير المعنى الظاهر لأنه"تعالى أثبت الحجة على من يعبد الأصنام وأتخذها شريكاً له، بأن يبين أنه إذا لم يصح أن تخلق الأجسام والنعم الجام، فإذا تعذر ذلك واستحال فيها، فيجب أن لا تصح أن تعبد وتستحق العبادة"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص12)، وهنا تضمين تضمن ضرباً من ضروب التوسع، والانتقال اللفظي من معنى من معنى متواضع عليه عن طريق اللفظ إلى معنى جديد ذات دلالة بلاغية عالية الجودة، إذ إن"سلامة الأسلوب، وعلاقة اللفظ بسابقه ولاحقه، وإنتاج معنى جديد وتغير الدلالة تبعاً لذلك وهذا يُعد توسع في اللغة"(الشجيري، 2005، ص297).

التضمين وقصد المتكلم: للمتكلم أهمية في تحقيق التضمين عند القاضي الذي يوضع للألفاظ الموضوعة للجميع، إذ هو معنى عام يراد به تحقيق الفائدة الكامنة في اللفظ العام الذي هو في الحقيقة يحمل معنى المجاز، ويتفوق على الحقيقة في إيضاح المعنى، إذ"انه لا يمتنع في المتكلم أن يريد به ما تناوله غيره، فيحل محل اللفظ الموضوع للجميع، فيقال:هو عام يراد به في المراد والفائدة دون حقيقة اللفظ"(عبد الجبار، 2012، ج17، ص42)، وللمتكلم وإدراكه ومعرفته لقصد العموم أهمية، إذ يجعل اللفظ يخرج إلى معنيين، فيتجاوز اللفظ الواحد إلى معنى قريب من المعنى الأول"لأنهم لا يجعلون مجرده دلالة على أن المتكلم به قصد به العموم وأفاده، بل يقولون يحتاج في ذلك إلى دليل غير مجرد، وعندنا إن مجرده دلالة ذلك"(عبد الجبار، 2012، ج17، ص35)، كون المتكلم يجب أن يكون قاصداً لمعناه مع الألفاظ المستعملة، إذ يستقيم بها نظم الخطاب اللغوي"فالمعنى لا يأتيك مصرحاً بذكره، مكشوفاً عن وجهه، بل مدلولاً عليه بغيره"(أحمد حسن حامد، 2001، ص106)، وتضمين المعنى أو تضمين النص يكون المتكلم قاصداً توظيف اللفظ أو العبارة، فالمعنى هو أصل المادة الخام التي تبقيها هي ذاتها قبل الصياغة، وكل ما يحدث هو تغيير في صياغة ذلك المعنى المقصود عند المتكلم، وهذا يعتمد على ثقافته وإدراكه لأسرار اللغة. ويكون التضمين عند المتكلم يكون بشكل مقصود بإيضاح وإيصال المعنى إلى المتلقي، ويحمل هذا المعنى يحمل معنيين بكلمة واحدة، والذي يصل المخاطب كلمتين فتؤدي كلمة واحدة معنى كلمتين، ونرى القاضي يعالج مسألة تضمين اللفظة الواحدة بأن لها معنيين، المعنى الأول يأتي بقصد المتكلم وهو الأغلب على الحقيقة، ويأتي مرة ثانية بقرينة تظهر معنى الكلمة بمعنى مقارب ومقترب من المعنى الواحد، إذ إنها"تدل مرة بانفرادها على قصد الفاعل، ومرة بقرينة، ولا تخرج الكلمة من أن تكون بالحالتين هي الموصوفة بأنها عموم أو خصوص"(عبد الجبار، 2012، ج17، ص45)، ويشترط القاضي أن يكون المتلقي عارفاً الوجه الذي يصرف إليه التضمين، إذ يجب أن"يعرف الوجه الذي يجوز أن يحمل عليه في اللغة، ويتأمل الدلالة التي لها يجب أن يحمل على ما يحمل عليه"(عبد الجبار، 2009، ج1، ص49)، ويخرج التضمين عند القاضي إلى معنى الأمر المتضمن الدليل العقلي المقصود من قبل المتكلم في أثبات ما يريده، إذ"إن الدليل العقلي وأن انفصل، فهو كالمتصل في أن الخطاب يترتب عليه، لأن قوله عز وجل:"يا أيها الناس اعبدوا ربكم"مع الدليل العقلي الدال على انه يكلف ما لا عقل له أكد في بابه من إن يقول:يأيها العقلاء اتقوا ربكم"(عبد الجبار، 2009، ج1، ص51)، وتكمن غاية التضمين في الكلام الذي يحمل أوجه عدة، ولا يأتي في الكلام البين المتواضع على ألفاظه في الخطاب اللغوي، إذ يمكن"حمله على ظاهره، وكان الخطاب ظاهراً في وضع اللغة، أكان عاماً أو خاصاً فالواجب حمله على ما يقتضيه"(عبد الجبار، 2009، ج1، ص51)، ويؤكد القاضي على أهمية أن يكون المتلقي عالماً بأصول اللغة مدركاً لوضعها عن طريق الإدراك العقلي، لكي يعرف التضمين الذي يمكن أن ندركه عن طريق المجاز ومفارقته للحقيقة.إن صرف اللفظ المتواضع عليه عن معناه إلى معنى جديد لا يمكن تحقيقه إلا من قبل متكلم يمتلك قدرة في معرفة مكامن اللغة، ومواضع قوتها مع أحساس مرهف في وضع الكلمات في مواضع تحقق للخطاب اللغوي بلاغة عالية الجودة، إذ التضمين"أن يقصد المتكلم لمعناه مع معنى الفعل الملفوظ، وبه

Volume: 4 Issue: 3

يستقيم النظم"(عباس حسن، ب-ت، ج2، ص542)، فيكون المتكلم عالماً بمكامن أسرار اللغة عارفاً الخاص والعام وما يجوز وما لا يجوز مدركاً لعلومها البلاغية، وتضمنها لمعانٍ عميقة عن طريق أساليبها البلاغية.(ينظر:عبد الجبار، 2009، ج1، ص51).

التضمين والمعنى العميق والمنطقي: يتطرق القاضي إلى التضمين العقلي عن طريق معرفة المحكم والمتشابه، فيبعد التناقض عن الآيات ذات المعنى العميق، إذ ترجح اللغة المعنى، فيجب أن يلجأ إلى الأدلة العقلية لمعرفة الكامن العميق ف"المتناقض في الظاهر لم يكن بأن أحدهما أولى من الآخر فيما يرجح إلى اللغة، فيلجئه ذلك إذا كان ممن يطلب الدين والبصيرة، إلى الرجوع إلى أدلة العقول"(عبد الجبار، 2009، ج1، ص43)، إذ إن أدلة العقول تكشف الحق، وتدفع عنه الباطل في توضيح الخطاب الإلهي الذي يتضمن وجود معنيين ظاهر ومعنى عميق، فنراه يؤكد على أن الواحد منا يجب أن يكون قاصداً في تضمين الخطاب الإفهام والبيان والإيضاح، وأن لم يفعل فكلامه يكون أشد اختلافاً وأقرب للالتباس وللتناقض (ينظر:عبد الجبار، 2009، ج1، ص44)، ويظهر التضمين واضحاً عند القاضي في توضيح المعنى الكامن في الآيات القرآنية، إذ يولي أهمية كبيرة للمعنى العميق أو المعنى الآخر الذي تتضمنه الآيات القرآنية، فنراه في قوله تعالى: "أهدنا الصراط المستقيم"(الفاتحة6)يُخرج التضمين إلى معنى واسع بعكس المعنى الظاهر الذي يعني الهداية إلى معنى يراد منه الإيمان، وهذا الإيمان ليس إيماناً عابراً، إنما هو إيمان مقترن بالقدرة الواجبة له(ينظر:عبد الجبار، 2009، ج1، ص60)، ويثبت هذه الفكرة في موضع آخر حينما يؤكد إن العبد في الدعاء لا يقدم إلا كل ما هو نافع، ويبتعد عن كل ما هو قبيح كون"السائل لا يطلب من المسؤول ما هو قبيح ولابد من كونه حسناً لو فعله، لكنه قد يكون الصلاح أن يفعله، وقد يكون بخلافه"(عبد الجبار، 2009، ص61)، فيُخرج قوله تعالى: "أهدنا الصراط المستقيم"إلى معنيين :-

الأول:-يدعوه سبحانه وتعالى لتيسير أمور الدنيا والدين.

الثاني:-إن يكون دعاءه داخلاً في الإصلاح بعيداً عن إفساد أعمال الدين والدنيا.(ينظر:عبد الجبار، 2009، ج1، ص60)، ونراه يعزز هذا المعنى في سورة أخرى يجعلها دليلاً على ما تقدم حينما يشرح سورة الفاتحة، إذ يتطرق إلى قوله تعالى: "والذين اهتدوا زادهم هدى"(محمد17)، إذ إن الهدى يدل على الإيمان، ويأتي بدليل قاطع على الآية الكريمة، وما تحمله من تضمين عقلي بأن الدليل على الدين المستقيم يشمل الزمن الحاضر والمستقبل، إذ"لم يكن الهدى إلا الدلالة أو الإيمان، فإذا طعنوا في أحدهما ثبت الآخر"(عبد الجبار، 2009، ج1، ص62)، وهذا ما يؤكده القاضي بأن الآية لها معنى عميق يبطل الآخذ بالمعنى الظاهر"ويبين أن المراد بالآية:دلنا على الدين المستقيم حالاً بعد حال، أو يكون المراد:زدنا في الأدلة والألطاف والخواطر التي عندها يزاد شرح صدورنا"(عبد الجبار، 2009، ج1، ص62)، وفي الآية الكريمة"لله يسجد ما في السموات والأرض طوعاً وكرهاً"(الرعد15)، نرى القاضي يضمن المعنى بطريقة منطقية في مسألة السجود طوعاً وكرهاً، وحينما نقرأ الآية نرى قسمين من العباد الساجدين عنده هما:-

أولاً:-عباد يسجدون وهم طائعون مقتنعون مؤمنون، وإيمانهم نابع عن يقين، ويشمل الجميع ما عدا غير العاقلين، والكافرين، والمنافقين .

ثانيا:-عباد يكونون في حالة إجبار غير مقتنعين وإيمانهم ضعيف، ولكن خوفهم من العقوبة يجبرهم على السجود، فضلاً عن البهائم التي تسجد على الفطرة التي فطرها الله، وعلى الرغم من إقرار القاضي يقر بما سبق، ولكنه يخرج إلى معنى آخر يتبعه ويناسبه، فيقول:إن السجود من قبل العباد من جميع المخلوقات نابع من أنه سبحانه يُسجد له"لاقتداره، يخضع له ما في السموات والأرض:ففيهم من يفعل الخضوع طوعاً ويعترف به، ويظهر الانقياد، ومنهم من يفعل ذلك بأن يستجيب فيما يريده فلا يصح منه الامتناع مثل سائر الحيوان الذي ليس بمكلف"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص11)، وليثبت هذه المسألة يأتي بدليل قاطع إنه سبحانه هو المختص بالخلق، والفعل الذي يورث النعم التي يتمتع بها العباد، وأن العبد يمكنه الخلق؛أي خلق ما يعبد من دون الله،

ولكن هذا الخلق لا يمكنه الفعل في تحقيق وصنع النعم، ولو كان له شريك في الخلق كخلقه، فيجب أن يخلق كخلقه وهذا محال، وهذا يكمن في قوله تعالى: "وجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شي"(الرعد16)، إذ يؤكد سبحانه أنه هو الخالق ولا خالق سواه، وهذه من وجوبيات الخطاب الإلهي؛أي"إن ظاهره إنما يقتضي إنما يخلق كخلقه تعالى يكون شريكاً له:وليس يدل على أن أثبات خالق سواه يوجب أثبات شريك معه، بل لو قيل:إن الظاهر يدل على خلافه لصح، وذلك أنه تعالى أنكر أن يكون له شريك إلا بأن يخلق كخلقه، فيجب إذا كان يخلق لا كخلقه ألا يكون بهذه الصفة"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص11)، ويتعمق القاضي بالتضمين المتضمن الدليل المنطقي في فهم وإخراج الآية من المعنى الظاهر إلى المعنى العميق، إذ إنه لا يشير إلى خلقه إنما"يضرب الأمثال للحق والباطل، ليبين حالهما فيرغب في الحق ويزجر عن الباطل، وظاهر الضرب إنما يدخل في المثال لا في الخلق"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص13)، ونراه يزيد المسألة شرحاً في آية أخرى يكمن التضمين فيها، فيخرج إلى معنى عميق تقصده في قوله تعالى: "أفلم ييأس الذين أمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً"(الرعد31)، فظاهر الخطاب العام أنه سبحانه لم يهدِ الناس أنما العباد المؤمنون فقط، فيقول: "إن ظاهره أنما يدل على أنه لو شاء لهداهم جميعاً، ولم يبين الوجه الذي كان يهديهم عليه"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص13)لكن هناك تضمين كامن لهذه الآية الكريمة، هو أنه سبحانه"أو لم يعلم الذين أمنوا أنه لو شاء أن يكره العباد لهداهم جميعاً على وجه الإكراه، لكنه إنما أراد أن يؤمنوا طوعاً، لكي يستحقوا الثواب والنفع"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص14)، ونراه يعطي أهمية للتضمين في الكلام وتفسيره للمعنى، إذ يخفي خطابه ليجرب المكلف على استعمال الدليل المنطقي لإدراك معنى الخطاب منه سبحانه ؛أي "إنه تعالى لابد من أن يبين في وقت الخطاب، لكنه لا يجوز أن يبين لبعض المكلفين دون بعض"(عبد الجبار، 2012، ج17، ص51)، ونراه يغوص في التضمين العقلي وإثبات ما يراه يتوافق مع معتقداته الأصولية حينما يتطرق إلى الآية الكريمة في قوله تعالى: "يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب"(الرعد39)، فيرجح رأي شيوخه في قوله وظاهره، إذ"يدل على أنه يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، وليس فيه أن الذي محاه هو الذي أثبته، وقد يجوز احدهما غير الآخر"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص14)، ويؤكد أن المراد الذي دفعه للآخذ برأي شيوخه"أنه تعالى يمحو المعاصي المثبتة في الصحف عند التوبة والإنابة، وقد يثبت ذلك عند الإصرار، ويثبت الطاعة عند ذلك"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص14-15)، ونرى القاضي يذهب في أن الآية إذا كان ظاهرها يدل على الرحمة والغفران والتوبة حين استئناف العمل الصالح، وترك كل ما هو عاصٍ الآولى أن نأخذ المعنى على ظاهره كونه تأثر في هذه المسألة برأي شيوخه، وهذا نابع من رفضه لأراء الآخرين الذين يقولون أنه سبحانه: "يمحو عن الصحف ما أثبت فيه من المباحات التي لا مدخل لها في الثواب والعقاب، ويثبت المعاصي والطاعات، لتعلق الثواب والعقاب بهما"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص15)، وهذا لا يمكن أن يراد منه سبحانه لذلك يجب حمل الخطاب على الوجه الظاهر دون الكامن، ويؤكد القاضي على أهمية استنباط الأفكار العقلية في إخراج المعنى الكامن في الخطاب الإلهي، وهذا نجده في تطرقه إلى الآية الكريمة" الر كتاب"(ابراهيم1)، وظاهر قوله سبحانه أنزل الكتاب إليه(ص)ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ولكن هذا المعنى يحتوي تضميناً عقلياً عميقاً أعتمده القاضي في قوله تعالى: "بأذن ربهم"؛ أي "

المراد به:بأمره، لأنه الإذن إذا أطلق فالآولى به الأمر والإباحة، وقد علمنا أن الإباحة لا تدخل في العدول من الكفر إلى الإيمان، فا المراد به الأمر وكأنه تعالى بين أنه أنزل الكتاب عليه(ص)، ليعدل به بأمر الله تعالى عن الكفر إلى الإيمان"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص19)، ويبتعد العدول هنا عند القاضي يبتعد عن الإكراه والجبر، أنما هو يدعوهم للتفكير وتقبل والنصح من قبل الرسول(ص)، ونرى إنه يختلف عن التيارات الإسلامية في مسألة التوكل في قوله تعالى: "وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا"(إبراهيم12)، حيث أنهم يأخذون الآية على المعنى الظاهر بأنه هداهم السبيل، ولكن التضمين عند القاضي يخرج إلى معنيين:-

Volume: 4 Issue: 3

الأول:-التوكل في الدين، إذ يكون سعي المكلف أن يسير على الطريق الذي يرضاه سبحانه، لكي يحقق الثواب والجنة في الآخرة.

الثاني:-التوكل في الدنيا يكون سعي المكلف فيه منصباً على السعي لطلب الرزق، ليضمن العيش الكريم بعيداً عن الحرام.(ينظر:عبد الجبار، 2009، ج2، ص120)، ويُخرج القاضي التضمين بصورة جميلة يوظفها القاضي من أجل أثبات ما يصبو إليه من معتقدات معتزلية ترفض فكرة القول في الجبر في قوله تعالى: "وما كان عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم"(إبراهيم 22)، إذ يخاطب الشيطان أتباعه بأنه بريء من أفعالهم، كونه لم يجبرهم على أتباعه، ونرى القاضي يؤكد فكرة عدم الإجبار من قبله سبحانه وتعالى لعباده بصورتين:-

الأولى:-إنه سبحانه رحيم بعباده لم يخلق فيهم الضلال على شرط أن لا يرمي المخلوق نفسه في التهلكة"أنه تعالى لو كان خالق فيهم الضلال لم يصح وصفهم بأنهم استجابوا للشيطان، لأنه المستجيب لغيره إنما يوصف بذلك إذ أختار لأجل قوله ما لولاه لكان يصح أن يختار خلافه"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص22) .

الثانية:-يؤكد القاضي أن الشيطان كونه عالماً بأنه سبحانه لا يجبر، نفى اللوم عن نفسه وإضافه بشكل قطعي إلى العباد، لأنه سبحانه لم يخلق الضلال والشر فيهم، وكان هذا خيارهم وليس خيار الشيطان، فيقول: "أنه إضاف اللوم إليهم ونفاه عن نفسه، ولو كان الله تعالى هو الذي خلق فيهم الضلال والكفر لكان الواجب في الخطاب أن يقال:فلا تلوموني ولوموا خالقكم الذي فعل فيكم الكفر"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص22) .ونرى القاضي يرفض الآخذ بظاهر القول، إنما يجب التطرق إلى معنى التضمين العميق، وهذا ما نجده في قوله تعالى:"يثبتُ اللهُ الذين أمنوا بالقولِ الثابتِ في الحياةِ الدنيا وبالحياةِ الآخرةِ ويضلُ اللهُ الظالمين"(إبراهيم 27)، إذ إن المعنى الظاهر"يقتضي أنه يثبت الذين أمنوا، وليس فيه بيان الأمر الذي يثبته عليه، بل يحتمل أن يراد به أنه يثبته لأجل ذلك .....فلا يصح إذاً أن يتعلقوا بالظاهر"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص23)، ومن ثم يشرح المسألة بشكل خفي لم يصرح به سبحانه وتعالى"أنه تعالى يثبتهم في نعيم الدنيا وفيما يختصمون به من الإكرام والتعظيم في الآخرة، ويثبتهم في الثواب والنعيم لأجل القول الثابت الذي هو الإيمان وسائر الطاعات، وعبر عن ذلك جميعه بالقول عن طريق المجاز"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص23)، ولكن هذا المجاز مجاز يتضمن معنى يدل على أنه سبحانه وتعالى يعبر عن الدين الحق الذي يسير عليه المكلف في حياته الدنيا وحياته الآخرة (ينظر:عبد الجبار، 2009، ج2، ص23)، أي إن القول الثابت عند القاضي يكمن في الحث على العمل الصالح للمكلف بأنه سوف يرى في الآخرة عمله أمام عينه، ويكون الشاهد عليه، وهذا هو الوعد الذي وعده سبحانه عن عمله في الدنيا، ونرى القاضي يضمن معنى عميقاً في الآية الكريمة"ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلهم الأمل فسوف يعلمون"(الحجر3)، إذ يخرج المعنى"ذرهم يأكلوا"إلى معنى التقريع والتوبيخ لعدم الطاعة والامتثال لأمره سبحانه، ويخرج هذا التضمين يخرج إلى معنى أنه سبحانه خالق ما يتمتعوا به من متع الحياة، وأن فعلهم عدم الاعتراف بهذه النعم على الرغم من أنهم يعلمون أنها منه سبحانه، إذ"لا يصح ذلك وليس للعبد فعل، كما لا يصح التوبيخ واللوم والذم إلا على فعل، ولو كان الله غير الخالق للأكل والتمتع لما صح أن يهديهم عليه"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص31)، وينطبق هذا الأمر على الآية الكريمة"ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين"(الحجر2)، إذ تدل على أن الكافرين"كانوا يمكنهم الإسلام، ولولا ذلك لما تمنوه على هذا الحد"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص31)، ويخرج التضمين من معنى الجمع إلى معنى المفرد بقوله تعالى:"ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون"(الحجر5)، فاشار بالجمع (الأمة) إلى المفرد الإنسان الذي كان مقصوداً بالموت والأجل وكل ذلك مكتوب عنده سبحانه، وهنا تضمين لمعنى عميق يشير إلى أن كل إنسان يجب أن يموت، وهذه من الحقائق المسلم بها من قبل الإنسان المؤمن، ونراه يؤكد هذا المعنى بأن "الوقت الذي يعلم أن موته وهلاكه يحصل فيه، فلا يجوز أن يتقدم أو يتاخر، وأن كان تعالى يقدر على تقديمه وتأخيره، لكنه إذا حكم بأنه يحدث في ذلك الوقت لم يجز خلافه"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص31). ونرى القاضي يعالج القضايا التي لا يمكن قبولها في الذات الإلهية بتضمين عميق يخرج من المعنى الحقيقي غير المقبول ضمن رأي المعتزلة إلى معنى

مجازي يستند إلى عدم إمكانية العباد أن يفعلوه، وهذا ما نجده عند القاضي حينما يتطرق إلى قوله تعالى:"وإن من شيء إلا عندنا خزائنه" (الحجر 21)، إذ يؤكد "أنه ظاهره يقتضي أنه لا شيء إلا وله عند الله مكان، لأن الخزائن هي الأماكن التي تدخر فيها الأشياء، وهذا لا يصح في أفعال العباد، لأنه لا يمكن فيها أن تكون في مكان ولا يصح أيضاً وقوعها من العباد أن تكون موجودة "(عبد الجبار، 2009، ج2، ص33-34)، ولكنه يسترسل ويأتي بدليل يشير إلى أن هذه الخزائن هي الغيث الذي ينزل من السماء؛أي إن لفظ (الخزائن)يخرج من معناه الحقيقي إلى معنى آخر يتضمن معنى عميقاً يخرج فيه السياق إلى معنى آخر، ويؤكده بقوله تعالى:"وما ننزله إلا بقدر معلوم"(الحجر 21)، وهنا تضمين أخرج اللفظ إلى معنى خلاف المعنى الظاهر، إذ يدل معنى الخزائن على الاقتدار والقوة بأنه سبحانه قادر متمكن "أي إن لا يصح عند الأمة إضافة القبائح إلى خزائنه الفساد والكفر، وإنما تضاف إليها الرحمة والنعمة"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص34)، وهذا ما أكده سبحانه وتعالى في قوله: "قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي"(الإسراء 100)، ويتطرق القاضي إلى مسالة مهمة في القرآن الكريم ويجتهد في تفسيرها بحسب عقائده الاعتزالية، إذ يخرج الخطاب القرآني عنده إلى معنى يتضمن معنى آخر يخالف فيه تفسير المذاهب الإسلامية الأخرى في قوله تعالى: "ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين" (الحجر 47)، وهنا خرج معنى (الغل) من معناه الظاهر إلى معنى آخر تضمن ابتعاده عن الكفر والغش والحسد، فيعيب أراء الآخرين الذين يقولون إن الكفر يزول من القلوب بالإيمان، وهذا يخالف رأيه الذي يؤكد أن الخطاب موجه لأهل الجنة الذين لا يوجد كفر في قلوبهم، والمراد بالآية "أن ما يلحق القلب من طلب الرتب والاعتصام بقصور الأحوال لا يلحق أهل الجنة، لأنه تعالى قصرهم على ما أعطاهم "(عبد الجبار، 2009، ج2، ص36). نرى القاضي يناقش بالدليل العقلي المنطقي المعنى العميق الذي يختفي في ظاهر الآية في قوله: "وما خلقنا السمواتِ والأرضَ وما بينهما إلا بالحقِ"(الحجر 85)، إذ يخرجها من معنى(الحق) بأنه لا يظلم أحداً من عباده إلى معنى آخر كونه تعالى "لا يفعل القبيح، لأنه لو فعل الكفر وسائر المعاصي .....لوجب أن يكون الكفر حقاً، وكذلك المعاصي، ولو جاز إطلاق ذلك عليه لجاز أن يكون صواباً" (عبد الجبار، 2009، ج2، ص38)، ونراه يزيد المسألة شرحاً بتأكيده أن قوله تعالى: "إلا بالحق"، يخرج لفظ (الحق) من معناه الحقيقي إلى معنى آخر يكون أكثر عمقاً وبلاغة، وهو (الحكمة) في الخلق والابتعاد عن العبثية، وهذه الحكمة لا تتحقق "مع القول بأنه يخلق القبائح، وأن كل ما يفعله :الحال فيه واحدة، من حيث كان الأمر أمره والعباد عباده "(عبد الجبار، 2009، ج2، ص39)، ونرى القاضي يعالج الآيات التي تتضمن معنى عميق يختلف ظاهره بطريقة الاعتزالية التي تمجد الدليل العقلي، وتسير مع أفكاره الاعتزالية في قوله تعالى: "ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم"(النحل 25)، إذ يدل على حقيقة الآية وظاهرها في أنهم يحملون أوزار الذين أضلوهم ودعوهم إلى أتباع الباطل، والخروج عن عبادته سبحانه، ومخالفة أوامره التي جاءت عن طريق الرسل والأنبياء عليهم السلام، لكن المعنى يخرج إلى تضمين عميق هو تعظيم ذنوبهم، وليس إسقاط الذنوب عن من تبعوهم، إذ "إنهم يحملون أوزارهم من حيث ضلوا وأخطئوا، ومن أوزار من دعوهم وأضلوا من حيث كانوا هم السبب في ضلالهم، ويكون المراد من بذلك أن وزرهم يعظم من حيث تأسى بهم القوم في الضلال"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص46)، ويخرج التضمين في الكلمات إلى معانٍ عدة في الخطاب القرآني، لكنها تحمل معنى خفياً مقصوداً لا يدركه إلا متلقٍ نافذ البصيرة، وهذا ما نراه عنده حينما تطرق إلى الآية الكريمة "وعلى اللهِ قصدُ السبيلِ ومنها جائرٌ ولو شاءَ لهداكم أجمعينَ"(النحل 9)، إذ يشير المعنى الظاهر للهدى إلى الدلالة والبيان، لكن التضمين يكمن في الآية الكريمة بأنه يخرج إلى معنى الثواب والنجاة والفوز بالجنة، كونه"بيان سبيل الحق الذي من سلكه فاز، وفي السبيل من هو جائز وباطل، وخارج من الاستقامة، ويفضي بصاحبه إلى الهلاك؛ولو شئت لأثبت الجميع، لكن لا أفعله إلا بمن يستحقه ممن يسلك قصد السبيل"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص43).

الكلام المحذوف والتضمين: يعطي القاضي أهمية كبيرة للتضمين في المحذوف من الكلام إذا أمكن تقديره، إذ يجعله يتفوق على غيره بما يتضمنه من معنى عقلي كامن يخدم معتقداته الاعتزالية، فيؤكد " إذا كان لابد من تقدير محذوف، فبأن يجعل المحذوف ما

Volume: 4 Issue: 3

تقتضيه اللغة أولى من غيره "(عبد الجبار، 2009، ج2، ص13)، ونراه في قول آخر يعطي أهمية كبيرة للمحذوف من الكلام في بيان التضمين في الخطاب اللغوي في قوله تعالى: "ومَا أرسلنَا مِن رسولٍ إلاَ بلسانِ قومِهِ ليبينَ لهُم فيضلُ اللهُ مِن يشاءُ ويهدِي مِن يشاءُ وهو العزيزُ الحكيمُ" (إبراهيم4)في حديثه سبحانه عن الهدى والضلال، إذ "ينبغي أن يكون المراد في هذا الموضع أنه يضل من يشاء بأن يعاقبه ويهلكه جزاءً على كفره، ويهدي من يشاء إلى الثواب وطريق الجنة، جزاءً له على إيمانه" (عبد الجبار، 2009، ج2، ص19)، ولكن القاضي يشير إلى معنى كامن في تقدير الكلام المحذوف"فكأنه قال تعالى:ليبين لهم، فمن فعل قيل يهده ومن رد ذلك يضلهُ، فيكون ما يقع في الهدى والضلال جزاء عليه محذوفاً ذكرهُ"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص20)، ويؤكد هذا المعنى في موضع آخر في قوله تعالى:"ولكن اللهَ يمنُ على من يشاءُ من عباده "(إبراهيم 11) بأنه سبحانه لا يقصد الكلام الظاهر كون كلامه يؤخذ على أوجه عدة بحسب اعتقاد المعتزلة ؛ أي أن التضمين في هذه الآية لا يشمل الإيمان والطاعة فقط، وإنما يشمل عدم تحقق هذه الأمور إلا بلطفه وقدرته سبحانه وتعالى على عباده، إذ " لا ننكر أن يخص بعض عباده بالنعم المتصلة بالدنيا .....إنه لا يمتنع أن يريد الإيمان أيضاً، وبينا أن إضافة ذلك إليه تعالى ووصفه بأن من نعمه صحيح من حديث لم يصل المؤمن إليه إلا بإلطافه ومعونته وضروب التمكين الذي أعطاه"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص20)، ونراه في آية أخرى يوضح أن هناك إخفاء للمعنى الظاهر، وهو قوله تعالى:"وبرزوا للواحد القهار"(إبراهيم 48)، وتضمن ظاهره غير الذي أراده سبحانه وتعالى، أنه" لم يقل برزوا إليه، فيقرب أن يكون له ظاهر، وإنما قال؛يبرزوا له، وهذا قد يذكر ويراد به الغرض، كما يقول القائل:صليت لله، وحججت له وطفت والمراد بذلك أنه فعل ذلك لأجله على جهة التقرب"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص27)، ولكن المراد في أنهم قاموا للمحاسبة والامتحان، وهنا معنى مخفي يتضمن الإشارة إلى أرادة الله، كونه يبينه في سياق آية أخرى هي " ليجزي اللهُ كُل نفسٍ ما كسبت "(إبراهيم 51)، كونهم برزوا لإصدار الحكم منه سبحانه، لأنه لا يوجد إلا هو وحده تعالى ؛أي أنه تفرد بالأمر من دون أن يشركه أحد .(ينظر :عبد الجبار، 2009، ج2، ص27)، وتدل الآية على تمام العدل الإلهي تجاه العباد "لأنه لو جاز أن يفعل القبيح لجاز أن يبتدئ بالثواب والعقاب من لا يستحقه، فكان لا يعلم فيما يفعله من ثواب أو عقاب أنه جزاء"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص28)، ونرى التضمين الذي تضمن المعنى المحذوف ذات الدليل المنطقي عند القاضي في قوله تعالى: "وكذلك نسلكه في قلوب المجرمين "(الحجر 12)، ويقصد بالذكر هنا القرآن إذا خرج على وجه من أوجه المجاز يكون الكفر فيه يحتل قلب الكافر ولا يمر عليه مروراً عابراً إنما يشغله كله " ذلك أنه تعالى إذا اسمعهم ذلك وأورده عليهم، حتى قرع أسماعهم، صار بمنزلة السالك إلى القلب والوارد عليه وحل محل الجسم إذا ورد على جسم، وليس كذلك حال الكفر، لأنه يبتدئ به من القلب"(عبد الجبار، 2009، ج2، ص32-33)، ومما تقدم نرى إن القاضي قد أهتم اهتماماً كبيراً بالألفاظ التي تتضمن معنى آخر يخرج من معناه الظاهر إلى معنى عميق مدعوم بالدليل المنطقي، الذي بدوره يرفع من مستوى الخطاب اللغوي، وما تأكيد القاضي عبد الجبار على الأدلة العقلية في بيان المعنى الخفي والمحذوف إلا لإثبات ما يعتقده من معتقدات أصولية تدعم ما يذهبون إليه من أفكار تدعم وتؤكد صحة أصولهم الخمس.

الخاتمة:

بعد أن أتممت هذا الجهد المتواضع الذي أرجو أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، فقد توصلت إلى مجموعة من النتائج أهمها :

1-التضمين عند القاضي يكمن في الألفاظ التي تخرج إلى معنى آخر، ويحصل التضمين في التحول الدلالي للألفاظ التي تخرج من الحقيقة إلى المجاز، ويصرف من معنى ظاهر إلى معنى عميق مدعوم بالدليل العقلي.

2-يؤكد القاضي على أهمية الجمع بين الحقيقة والمجاز، وجعلها على خط واحد في تعميق معنى التضمين مع توافر القرينة التي تخرج من المعنى الظاهر إلى معنى خفي يدرك عن طريق الإدراك للمعنى الجديد.

3-للتضمين عند القاضي له أثر كبير في توسيع المعنى، إذ يعتمد الدليل المنطقي الذي يتبناه المعتزلة في خروج الخطاب اللغوي المتواضع عليه إلى معنى آخر يمتاز بالتوسع والسمو الفكري، كونه لا يتوسع عن طريق اسم أو فعل أو حرف، إنما يكون التوسع في عموم الخطاب القرآني المدعوم بالدليل العقلي المنطقي.

4-للمتكلم أهمية كبيرة في التضمين عند القاضي؛لمعرفته وإدراكه لمكونات الألفاظ، كونه قاصداً معناه باستعمال ألفاظ تخرج إلى معنى آخر، وهو المعنى الأول المقرون بقصد المتكلم، ومعنى آخر يأتي مقترناً بقرينة منطقية ترفع مستوى التضمين إلى مرتبة أعلى من المعنى المقرون بقصد المتكلم.

5-للأدلة العقلية لها أثر كبير في توضيح المعنى الكامل العميق، ولاسيما في الآيات المتشابهات، إذ تكشف الحق وتدفع الباطل عن الأصول الاعتقادية التي يدافع عنها المعتزلة بصورة عامة، والقاضي عبد الجبار بصورة خاصة.

6-يعطي القاضي أهمية كبيرة للتضمين في المحذوف من الكلام، فيقوم بتقديره ويجعله يتفوق على الكلام الظاهر لما يتضمنه من معنى عقلي خفي يصرفه إلى ما يعتقد به من معتقدات أصولية يجتهد من أجل إثباتها في آيات القران الكريم .

Volume: 4 Issue: 3

قائمة المراجع والمصادر:

-القرآن الكريم .

ابن جني، أبو الفتح، (1952)، الخصائص، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2.

الأزهري، خالد، (ب-ت)، شرح التصريح على التوضيح، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1.

البب، إبراهيم، و محمد سراج، (2017)، التضمين النحوي في الخصائص والمغني، بحث منشور في مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات، ع6، سوريا، م39،

حامد، أحمد حسن، (2001)، التضمين في العربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت، ط1.

حسن، عباس، (ب-ت)، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط3.

الحسن، محمد الخضر، (1960)، دراسات في العربية وتاريخها، دار الفتح، دمشق، ط2.

الحسن، محمود، (2018)، أسلوب التضمين بين اللغويين والنحويين، الهيأة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1.

خطابي، محمد، (2006)، لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، المركز الثقافي العربي للنشر، المغرب، ط2.

درباس، إيناس شعبان، (2010)، التضمين في حروف الجر في صحيح البخاري، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، فلسطين-غزة.

الرباعي، ربى عبد القادر، (1997)، التضمين في التراث النقدي والبلاغي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، كلية الأداب، الأردن.

الرماني، أبو الحسن، (ب-ت)، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، رسالة النكت في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول، دار المعارف، مصر.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، (ب-ت)، الكشاف في حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

السامرائي، فاضل، (2003)، معاني النحو، دار العاتل للكتاب، القاهرة، ط 1.

الشجيري، هادي أحمد، (2005)، التضمين النحوي وأثره في المعنى، بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ع30.

عبد الله، زيد عمر، (2002)، أسلوب التضمين وأثره في التفسير، بحث منشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، ع 49.

عبد الفتاح، عمر، (ب-ت)، القول بالتضمين وأثره في الفروع الفقهية، جامعة الأزهر، مصر.

غربوج، آسيا، (2016)، التضمين في النحو العربي وتطبيقاته في القرآن، بحث منشور في مجلة دفاتر مخبر، جامعة القسطنطينية، الجزائر، ع 3.

فاضل، محمد نديم، (2005)، التضمين النحوي في القرآن الكريم، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط 1.

المعتزلي، القاضي عبد الجبار(2009)، متشابه القرآن، تحقيق أحمد السايح، وتوفيق وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1.

المعتزلي، القاضي عبد الجبار، (2012)، المغني في أبواب التوحيد والعدل(الشرعيات)، تحقيق خضر محمد نبها، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1.

نقد الدين، مجد الدين سيد محمد، (2017)، التضمين والتعليل النحوي، بحث منشور في مجلة العلوم الإنسانية، جامعة جدة، كلية العلوم والأداب، مجلد 18(1) .